الفصل الثالث

الشّهادة للنبي محمد ﷺ بالرسالة

هي مشاهدة القلب والعقل وإقرار اللسان عن رضاً واختيار بأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ هو عبد الله ورسوله، أرسله الله تعالى إلى الخلق بالهدى، ودين الحق ليظهره على الدين كله.

وأن ما يدعو إليه هذا الرسول الكريم، وما يقوله، وما يفعله، ما يقبله وما يرده ـ في مجال التشريع ـ هو دين الله يبلغه إلى الناس وحق على الناس اتباعه[1].

قال الشيخ سعيد : ولا يقوم الإنسان بلوازم لا إله إلا الله إلا إذا عرف رسوله، وتعرف بواسطة رسوله على الطريق الذي ينبغي أن يسلكه لتحقيق لوازم هذه الوحدانية، وبدون ذلك سيبقى الإنسان في متاهات الضلال الكبير البعيد الذي لا يعرف معه سيراً ينسجم مع وضعه، ويصل به إلى الغاية مبتدئاً من بداياتها الصحيحة، لذلك كانت معرفة رسول الله ﷺ

---

(١) إلا ما هو خصوصية له ﷺ.

(٢) الإسلام ١ ـ ٢٦ الآية من سورة المائدة ١٥٠ ـ ١٥١.

تعدل معرفة الله، إذ لا يقوم أحد بحق الله إلا إذا عرف رسوله، لذلك حكم الله تعالى بكفر من لم يؤمن بالرسول الذي يرسله إلى الناس، بعد أن أقام الحجة على الناس برسالته: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُوْنَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيْدُوْنَ أَنْ يُفَرِّقُوْا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُوْلُوْنَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيْدُوْنَ أَنْ يَتَّخِذُوْا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيْلاً أُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُوْنَ حَقًّا﴾[1].

الرســـول: رجل حرٌ من بني آدم، أوحى الله تعالى إليه بدين، وأمره بتبليغه[2]، فرسولنا محمد ﷺ أوحى الله تعالى إليه بالإسلام الذي

---

(١) الإسلام: ١ / ٢٦.

(٢) عرف الشيخ محمد عبده الوحي بأنه: عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله تعالى. «رسالة التوحيد» له ص ١٤٨. وتابعه في تعريفه الشيخ رشيد رضا دون تعقيب.

قال الشيخ عبد الفتاح إبراهيم سلامة: ونحن نأخذ على تعريف الشيخ ما أخذه غيرنا ونضيف بأنه:

١) ساق تعريفاً غير موضوعي باسم الموضوعية.

٢) ساق تعريفاً لا تشهد له نصوص القرآن والسنة، ولا وقائع الوحي.

٣) فرق كبير بين الوحي الذي هو: إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه، وبين أن يكون الوحي عرفانا يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله، ففي هذا التعريف الأخير ايهام وغموض، وفقدان الإنسان بين أوله وآخره.

٤) استعمال كلمة (الشخص) في غير موضعها، لأن النبي ليس كأيّ شخص.

٥) وصفه الإلهام بأنه ما تستقيه النفس وتنساق إلى ما يطلب منها من غير شعور منها من أين أتى، فإنه لا يقين في الإلهام، كما هو معروف وقد يلتبس على الإنسان الإلهام بوساوس الشيطان.

٦) شبه وجدان الإلهام بغرائز الجوع والعطش حين قال فيه:)وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور، فإنه شتان ما بين الإلهام والغرائز).

عن «مجلـة الجامعة الإسلاميـة» عدد: ٤٥ ص ٤٢.

هو القرآن الكريم، والسنّة الشريفة، وأمره بتبليغه إلى الناس، وقد فعل ﷺ ذلك، فأدى الرسالة، وبلّغ الأمانة، دعا إلى الله تعالى، حتى أتاه اليقين، وهو يقول: بل الرفيق الأعلى، الرفيق الأعلى، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

دلائل كونه ﷺ رسول الله تعالى حقـاً:

محمد ﷺ رسول الله حقاً بدلالـــة:

١ ــ حياته الكريمة النقيــة التي عاشها ﷺ منذ طفولته، إلى أن نزل عليه الوحي بالإسلام، ثم إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، فلم يُعرف عنه ﷺ عبادةٌ لصنم، أو تقديم قربان عنده، ولا عهد عنه سرقة، أو كذب، أو عدوان وقتل، ولا شرب خمر أو لعب قمار، ولا زنى ولا تشبب بامرأة.

ولا اتهم بشيء من ذلك، حتى من أشد الناس عليه عداوة، مما يدل على اتفاق معاصريه وعارفيه جميعاً على خُلُقه العظيم ﷺ قبل نبوته، وذلك فضل الله تعالى يربي من أعده للنبوة والرسالة تربية مُثلى ليكون قدوة صالحة على الدوام، قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي.﴾[1].

وقال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه، وقد قال له: يا رسول الله لقد طفت القبائل كلها فلم أر آدب منك فمن أدبك؟ قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» رواه العسكري. وقال السيوطي: معناه صحيح، ولكن لم يأت من طريق صحيح، أنظر «كشف الخفاء» ١ / ٧٠.

---

(١) طـــه: ٣٩.

عن علي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا ليلتين، كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاء غنم أهلها، فقلت لصاحبي أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة، أسمر فيها، كما يسمر الفتيان، فقال: بلى، قال: فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة، فسمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: تزوج فلان فلانة، فجلست أنظر، وضرب الله على أذني، فوالله ما أيقظني إلا مسّ الشمس فرجعت إلى صاحبي، فقال: ماذا فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئاً، ثم أخبرته بالذي رأيت. وذكر أنه حصل له ذلك مرة أخرى، فتم له مثل الذي تمّ في المرة الأولى) ثم قال: فوالله ما هممت ولا عُدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله تعالى بنبوته[1].

● روى الحافظ البيهقي بسنده إلى زيد بن حارثة رضي الله عنه قال: كان صنم من نحاس يقال له: ساف ونائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا،[2] فطاف رسول الله ﷺ، وطفت معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله ﷺ: لا تمسّه. قال زيد: فطفت، وقلت في نفسي: لأمسنّه حتى أنظر ما يكون، فمسحته، فقال رسول الله ﷺ: «ألم تُنه»، قال البيهقي: زاد فيه عن محمد بن عمر بإسناده، قال زيد: فوالذي أكرمه الله وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنماً قط حتى أكرمه الله تعالى - يعني بالنبوة -.

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير: ٢ - ٢٨٨، وقال بعد ذكره لها: هذا حديث غريب جداً، وقد يكون عن علي نفسه، وذكره ابن سيد الناس في «عيون الأثر». انظر رسالة: «بشائر نور وإرهاصات نبوة» للمؤلف.

(٢) حول الصفا والمروة.

قال ابن كثير في «تاريخه»: وشب رسول الله ﷺ مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه، ويحوطه من أمور الجاهلية ومعايبها، لما يريد من كرامته، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً وأمانة، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم عن الفحش والأذى، ما رؤي ملاحياً، ولا مماريا أحداً حتى سماه قومه (الأمين) لما جمع الله تعالى فيه من الأمور الصالحة[1].

٢ ـ صفاته الخُلُقية ومزاياه النفسية من الصدق، والعدل، والعقل العظيم، والشجاعة، والرحمة، والعفو عند المقدرة، والثبات على المبدأ، وقوة الحجة، والخلق العظيم في كل شيء برتبة، ومزية لم تُعرف في سابق زمانه لأحد، ولن تُعرف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأحد.

والواقع والتاريخ شاهد ـ وأي شاهد ـ على تلك المزايا والأخلاق العظيمة له ﷺ، وكثيراً ما نطق بذلك الكفار الأعداء مع المؤمنين، فكان مثلهم كمثل من قال:

ما إن مدحت محمداً بقصيدتي
لكن مدحت قصيدتي بمحمد

ونحب أن نزين صفحات هذا الكتاب بإيراد نماذج من صفاته الخُلُقية، ومزاياه النفسية ﷺ، رجاء أن ننتظم في سلك مداحي من مدحه ربه فقال: ﴿وإنكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم﴾[2]، وأن ينتفع بها المسلمون فتُنظم

---

(١) «البداية والنهاية».

(٢) القلم: ٤.

في سلك: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً...)[1].

أ ـ صدقه ﷺ :

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُم لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾[2]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت الآية: ﴿فاصْدَعْ بما تُؤْمَرُ وأعْرِضْ عَنَ المُشْرِكين﴾[3] صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، (لبطون قريش) حتى اجتمعوا، فجعل الذي لم يستطع أن يخرج، يرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال النبي ﷺ: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي يريد أن يُغير عليكم أفكنتم مصدقيَّ؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِيْ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[4].

● وقال هرقل لأبي سفيان قبل أن يسلم وقد أتى هرقلَ كتابُ رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلتُ: لا... وقال هرقل: وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا فقد عرفتُ أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى....[5].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الأنعـام : ٣٣.

(٣) الحجـر : ٩٤.

(٤) رواه البخـاري.

(٥) انظر محاورة هرقل لأبي سفيان وهي قطفة من شهادات الأعداء لرسول الله ﷺ بالنبوة، وهي في البخاري ومسلم.

ب ـ عدلـه ﷺ :

عن خولة بنت قيس امرأة حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما قالت: كان على رسول الله ﷺ وسق من تمر لرجلٍ من بني ساعدة، فأتاه يقتضيه، فأمر رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار أن يقضيه، فقضاه تمراً دون تمره، فأبى أن يقبله، فقال: أتردّ على رسول الله ﷺ فقال: نعم، ومن أحق بالعدل من رسول الله ﷺ، فاكتحلت عينا رسول الله ﷺ بدموعه، ثم قال: «صدق ومن أحق بالعدل مني، لا قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها ولا يتعتعه» ثم قال: «يا خولة عديه، وأقضيه، فإنه ليس من غريم يخرج من غريمه راضياً إلا صلت عليه دواب الأرض ونون البحار، وليس من عبد يلوي غريمه وهو يجد إلا كتب الله عليه في كل يوم وليلة إثماً»[1].

● وحين شعر ﷺ بدنوِّ أجله، فانهزمت العافية في بدنه الجلد أمام سطوة المرض العاتي ـ كما يقول الغزالي ـ وقف ﷺ على منبره يخطب الناس يقول فيهم: أما بعد أيها الناس، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، فمن كنت جلدتُ له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه، ألا وإن الشحناء ليست من طبعي ولا من شأني، ألا وإن أحبكم إليَّ من أخذ مني حقاً إن كان له أو أحلني منه، فلقيت الله وأنا طيب النفس. فلم يقم له ﷺ أحد ليقول له: لقد ضربتني ظلماً، أو أهنتني، ونلت من كرامتي، وقام رجل يقول: يا

---

(١) الطبراني، ورواه أحمد بنحوه عن عائشة رضي الله تعالى عنها بإسناد جيد قوي كذا في «الترغيب» ٣ ـ ٣٧٠.

رسول الله أخذت مني يوم كذا ثلاثة دراهم، فلم تعدها ـ نسيها ﷺ ـ فقال للفضل: «أعطه يا فضل»[1].

ج ـ رجاحة عقله ﷺ وبعد نظره:

ترددت الرسل بين رسول الله ﷺ وقريش يوم الحديبية إلى أن جاء سهيل بن عمرو، فلما رآه ﷺ مقبلاً، قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل، وتم الصلح، وكان من بنوده أن يعود الرسول والمؤمنون صلى الله عليه وعليهم وسلم إلى المدينة دون أن يدخلوا مكة هذا العام، وأن من أراد أن يدخل في حِلف محمد ﷺ دخل، وأمور أخرى، وكان أن جاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ يقول: ألستَ برسول الله؟!، قال ﷺ: «بلى»، قال: أولسنا بالمسلمين؟، قال: «بلى»، قال: أوليسوا بالمشركين؟، قال: «بلى»، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟، قال: «أنا عبد الله ورسوله، ولن أخالف أمره ولن يضيعني»[2]، قال ابن هشام: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن أكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: «اكتب باسمك اللهم» فكتبها، ثم قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، قال: فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن أكتب اسمك واسم أبيك، فقال رسول الله ﷺ: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو»[3]، ولو وقف رسول الله ﷺ عند حدود المظاهر والألفاظ

---

(١) انظر «فقه السيرة» للشيخ محمد الغزالي.

(٢) انظر «فقه السيرة» للغزالي.

(٣) «سيرة ابن هشام»: ٣ / ٣١٧.

لما كان يكون صلح الحديبية ـ والله أعلم ـ الذي سماه الله تعالى فتحاً مبيناً، ولما كان يتم انطلاق الدعوة الإسلامية حرة طليقة في الجزيرة العربية وما جاورها، ولما كان يكون فتح مكة الذي جاء إيذاناً بزوال صولة الشرك من بلاد العرب، والله أعلم.

د ـ شجاعتـــه ﷺ :

لما أكثـــر مشركو مكة علي أبي طالب في شأن رسول الله ﷺ، حتى خيَّروه بين أن يكفَّ رسول الله ﷺ عن تنقيص دينهم، وتسفيه أحلامهم، وبين أن ينازلوه وإياه في الحرب حتى يهلك أحد الفريقين، بعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ، فأعلمه بما قالت قريش، وقال له: ابق على نفسك وعليَّ ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه رأي وأنه خاذله وتارك نصرته، فقال ﷺ: «يا عماه والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته»[1].

● حين خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف لمحاربة هوازن وثقيف كمن هؤلاء للمسلمين، ثم حملوا على المسلمين حملة رجل واحد بسهامهم ورماحهم وحجارتهم، فانكشف أكثر الناس عن رسول الله ﷺ، وبقي هو ﷺ كما كان قبل بدء هذا القتال راكباً بغلته، يقول: «إليَّ أيها الناس، هلموا إليَّ أنا رسول الله»

أنا الرسول لا كـذب ... أنـا ابن عبد المطلب

(١) «سيـرة ابن هشام».

قال الله تعالى له : ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ﴾[1]، فأي شجاعة تكون لمن يأمره ربه سبحانه أن يقاتل الناس وحـــده.؟!

هـ ــ رحمته ﷺ :

قالـــت عائشة رضي الله تعالى عنها: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشدُّ عليك من يوم أحد؟ قال: «ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة، إذا عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا سحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، ثم ناداني ملك الجبال، فسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد قد بعثني الله، إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال قد بعثني إليك ربك لتأمرني بما شئت، إن شئت تطبق عليهم الأخشبين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشركُ به شيئاً»[3].

● فتح الله تعالى لرسوله ﷺ مكة المكرمة دون قيد أو شرط، فدخلها وعليه سلاح القتال وآلته، ومعه اثنا عشر ألفاً من المسلمين.. حتى إذا طهر المسجد من الأوثان، نظر إلى قريش وهم خاضعون أذلة بين يديه ﷺ، فقال: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «فإني أقول ما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم

---

(١) النساء : ٨٤ .

(٢) سيرة ابن هشام : ٣ ـ ٣١٧.

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء»[1].

فكانت كلمة ما سمعها التاريخ من فاتح مظفر، وقد لا يسمعها أبد الدهر، ولكن لا عجب، فقد قال الله تعالى له: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْن.﴾[2]، وقال هو عن نفسه الشريفة: «إنما أنا رَحْمَةٌ مُهْداة.»[3].

و ـ حلمه وعفوه ﷺ:

أراد فضالة بن عمير الليثي قتل النبي ﷺ، وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله ﷺ أفضالة؟ قال: نعم، فضالة، قال: «ماذا كنت تحدث به نفسك؟» قال: لا شيء كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي ﷺ، ثم قال: «أستغفر الله» ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحبّ إليَّ منه، قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلُم إلى الحديث، فقلت: لا، وانبعث فضالة يقول:

قالت هلُم إلى الحديث فقلت لا
يأبى عليك الله والإسلام
لو ما رأيتِ محمداً وقبيله
بالفتح يوم تكسر الأصنام

---

(١) «سيرة ابن هشام»: ٢ ـ ٢٧.
(٢) الأنبياء: ١٠٧.
(٣) ابن سعد مرسلاً، وهو صحيح. كذا في «الجامع الصغير» للسيوطي.

لـرأيـتِ ديـنَ الله أضـحـى بـيِّـنـا
والشـركَ يغـشى وجـهـه الإظـلام[1]

● قال أنس رضي الله تعالى عنه: دخل رسول الله ﷺ يوماً المسجدَ وعليه برد نجراني غليظ الصنعة، فأتاه أعرابي من خلفه، فأخذ بجانب ردائه، حتى أثرت الصنعة في صفحة عنق رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أعطنا من مال الله الذي عندك، فالتفت رسول الله ﷺ، فتبسم، فقال: مروا له[2].

ز ــ سياستـــه ﷺ:

أخبر زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فَدكية، فأردف وراءه أسامة بن زيد، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مَرّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبد الله بن أُبيّ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا فسلم عليهم النبي ﷺ، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي أيها المرء، لاأحسن من هذا إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا وارجع إلى رحلك. فمن جاءك منا فاقصص عليه، قال عبد الله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك فاستبّ المسلمون

---

(١) «تاريخ ابن كثير»: ٤ ـ ٣٠٨.
(٢) الرسول ﷺ: ١ ـ ١٤٦ عن الطبري.

والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يحفضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال: أي سعد ألم أتسمع ما قال أبو حباب ـ يريد عبد الله بن أبي ـ قال كذا وكذا فقال: اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه فيعصبونه بالعصابة، فلما ردّ الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرف بذلك، فذاك فعل ما رأيت. فعفا عنه ﷺ[1].

قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: إن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يهدي زيد بن سعنة قال زيد: إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلاّ حلماً، فلبثت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله. فخرج يوماً من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي، فقال يا رسول الله: أهل قرية بني فلان أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنت أخبرهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغداً. وقد أصابتهم سنة وقحوط من الغيث وأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعاً، فإن رأيت أن ترسل إليهم ما يعينهم فعلت، فنظر رسول الله ﷺ إلى رجل عن جانبه أراه عمر، فقال: ما بقي منه شيء يا رسول الله. قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه، وقلت: يا محمد، هل لك أن تبيعني ثمراً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا..؟! قال: لا يا يهودي ولكن أبيعك تمراً معلوماً إلى أجل كذا وكذا، ولا أسمي حائط بني فلان، قلت: نعم، فبايعني النبي ﷺ فأطلقت هميانى فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب من تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاها الرجل، وقال:

---

(١) رواه أحمد.

اعجل عليهم واغثهم.

قال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محل الأجلين بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي في نفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة دنا من جدار فجلس إليه، فأخذت بمجامع قميصه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت: يا محمد حقي فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب مُطل، ولقد كان لي بمخالطتكم علم، قال: ونظرت إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني بنظره، فقال: أي عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما سمع وتفعل ما أرى؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي هذا عنقك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة، ثم قال: إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، تأمرني بحسن الأداء، وتأمرني بحسن التباعة اذهب به عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما رُعْتَه. فذهب بي عمر فقضاني حقي، وزادني عشرين صاعاً من تمر، فقلت له: ما هذه الزيادة؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ وأن أزيدكها مكان ما رُعْتُك. قلت: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا، من أنت؟ قلت: زيد بن سعنة. قال: الحبر؟ قلت: الحبر. قال: فما دعاك إلى أن تقول لرسول ﷺ ما قلت وتفعل به ما فعلت؟ قلت: يا عمر: كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إلا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل إلا علماً، فقد خبرتهما فأشهد يا عمر أني رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، وأشهدك أنَّ شطر مالي، وإني لأكثرها مالا. صدقة على أمة محمد ﷺ. فقال عمر: أو على بعضهم فإنك لا تسعهم كلهم، فقلت: أو على بعضهم. فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ فقال زيد:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وآمن به، وصدقه، وشهد معه مشاهد كثيرة. ثم توفي في غزوة تبوك مقبلاً رحم الله زيداً[1].

روى عبد الله بن أبي بكر عن رجل من العرب قال: زحمت رسول الله ﷺ يوم حنين وفي رجلي نعل كثيفة فوطئت على رجل رسول الله ﷺ فنفحني نفحة: ضربني ضرباً خفيفاً: بسوط في يده وقال: «بسم الله، أوجعتني» قال: فبتّ لنفسي لائماً أقول: أوجعت رسول الله ﷺ فبت بليلة كما يعلم الله، فلما أصبحنا إذا رجل يقول: اين فلان؟ قال: قلت هذا والله الذي كان مني بالأمس قال: فانطلقت وأنا متخوف، فقال لي رسول الله ﷺ: «إنك وطئت بنعلك على رجلي بالأمس، فأوجعتني فنفحتك نفحة بالسوط، فهذه ثمانون نعجة خذها بها»[2].

٣ ــ القرآن الكريم والكتب السابقة:

هذا القرآن الكريم شاهد صدق على أن محمداً ﷺ هو رسول الله، قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ والذِيْنَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ علَى الكُفَّارِ رُحَماء بينهم﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوْا آياته﴾[4]، ﴿وإِنَّه لَكِتَابٌ عَزِيْزٌ لاَ يَأتيه الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيْلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيْدٍ﴾[5]، وما كان ليكون هذا القرآن العظيم إلا من عند الله

---

(١) «موارد الظمآن في زوائد ابن حبان»: ٥١٧.

(٢) سنن الدارمي.

(٣) سورة الفتح: ٢٨.

(٤) سورة ص: ٢٩.

(٥) سورة فصلت: ٤٣.

تعالى، فقد جاء على أسلوب عظيم من البيان، أعجز الإنس والجن على أن يأتوا بأقصر سورة من مثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وأتى على أخبار عريقة في القدم لا علم فيها لأحد من دون الله تعالى، وعلى أنباء من الغيوب لا يطلع عليها أحد سوى الله تعالى في بيانه متشابه متناسق: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوْا فِيْهِ اخْتِلاَفاً كَثِيْراً﴾[1].

ونظرة إلى مضمون القرآن الكريم من جهة العقيدة والعبادة، والتربية الفردية والاجتماعية، والتشريعات والنظم المختلفة، تدل على أن القرآن كلام الله تعالى أنزله على قلب رسوله محمد ﷺ ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً: ﴿سَنُرِيْهِم آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحق أَوَلَمْ يَكفِ بِرَبِّكَ أَنَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْد.﴾[2].

نقل السيد سعيد حوى عن كتاب (إظهار الحق) للأستاذ رحمة الله بن خليل الهندي، ثماني عشرة بشارة بظهور نبينا محمد ﷺ، تضاف إلى قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيْثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُم رَسُوْلٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّه﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيْسى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيْلَ إِني رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يَدَيَّ مِن التَّوْرَاةِ ومُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَد﴾[4].

فقال: البشارة الثانية عشرة: نقل يهوذا الحواري في رسالة الخبر الذي تكلم به أخنوخ الرسول، وأنا أنقل عبارته من الترجمة العربية

---

(١) النساء: ٨٢.

(٢) سورة فصلت: ٥٣.

(٣) آل عمران: ٨١.

(٤) الصف: ٦.

المطبوعة سنة ١٨٤٤ :

(الرب قد جاء في ربواته المقدسة ليداين الجميع، ويبكت جميع المنافقين، على كل أعمال نفاقهم التي نافقوا فيها، وعلى كل الكلام الصعب الذي تكلم به ضد الله الخطاة المنافقون.).

فجاء محمد في ربواته المقدسة فدان الكفار، وبكت المنافقين، والخطاة على أعمال النفاق، وعلى أقوالهم القبيحة في الله ورسوله، فبكت المشركين لعدم تسليم توحيد الله ورسالة رسله مطلقاً وعبادتهم الأصنام والأوثان، وبكت اليهود على تفريطهم في حق عيسى ومريم عليهما السلام وبعض عقائدهم الواهية، وبكت أهل التثليث مطلقاً على تفريطهم في توحيد الله وإفراطهم في حق عيسى عليه السلام، وبكت أكثرهم على عبادة الصليب والتماثيل وبعض عقائدهم الواهيـــة.. كتاب «الرسول ﷺ ج ٢ من ص ٢٤٤ - ٢٦٧ ».

٤ ــ الإســـــلام :

هذا الدين الذي بلّغه النبي الأمي ﷺ إلى الناس شاهد صدق على أن محمداً ﷺ هو رسول الله.

لقد ولد ﷺ، ونشأ يتيماً، ما جلس إلى معلم، ولا قرأ في كتاب، ما خالط العلماء، ولا جالس أصحاب العلوم والمعارف، ومع ذلك فقد بعث بهذا الدين العظيم الذي نجد فيه الحق كله، والعدل كله، والفطرة الصافية، والحاجة الصالحة، والعقل والحكمة، جاء بدين على سنن أنبياء الله تعالى، في الدعوة إلى الإيمان بالله وحده، وطاعته، وطاعة رسله فيما يأمرون، ينهون، ويقضون، ويحكمـون.

جاء بدين على سنن الأنبياء في الحض على العبادات من صلاة، وزكاة، وحج، وصيام.

جاء بدين على سنن الأنبياء في الحض على طلب الحلال، واجتناب الحرام في المعاملات، والعلاقات مع الناس.

جاء بدين على سنن أنبياء الله تعالى في الدعوة إلى مكارم الأخلاق من الصدق، وأداء الأمانة، والحكم بالعدل، والحرص على هدى الناس.

ومهما تقدمت البشرية، وتقدمت علومها، فلن تجد في الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ مخالفة للفطرة، أو خروجاً على العقل، أو مجانبة للمصلحة الحقة، فضلاً عن معارضته قضايا العلم، وأسباب تقدم البشرية، بل كلما تقدمت البشرية وتقدمت علومها، فإنها تجد نفسها أنها تسير في طريق الإسلام حتى تبلغه بإذن الله تعالى، ويومذاك تقع على سعادة الدنيا وتطمح إلى النجاة في الحياة الآخرة، وذلك كائن بإذن الله تعالى.

٥ ــ شهادة الله تعالى سبحانه بنبوة محمد ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ﴾[1]، وقال: ﴿إِذَا جاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُوْلُ اللهِ واللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ واللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لَكَاذِبُون﴾[2].

ثم شهادة رسول الله ﷺ: وهو الصدوق الأمين ـ لنفسه أنه رسول الله، قال رسول الله ﷺ في حق ذلك الذي أخبر عنه أنه من أهل النار: «أشهد أن

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.
(٢) سورة المنافقون: ١.

لا إله إلا الله وأني رسول الله، ألم أقل إنه من أهل النار ثم أمر منادياً ينادي فيقول: ألا لن يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[1].

ثم شهادة المسلمين، المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها منذ بعثته ﷺ وحتى تهلك تلك الطائفة المقيمة على الحق قرب قيام الساعة، يشهدون أن محمداً ﷺ هو رسول الله.

وأكرم بشهادة المؤمنين له ﷺ، إنها شهادة توافق شهادة الله تعالى وملائكته عليهم الصلاة والسلام، وتصدر عن أقوام آمنوا بالله، واتبعوا دينه، وما قيمة إنكار كفرة فجرة لنبوته ﷺ إنهم لا وزن لهم في أنفسهم ـ لعلمهم بأنهم يكذبون ـ ولا وزن لهم عند الله وعند الناس.

ومهما تقدمت البشرية، وتقدمت علومها، فسوف تزداد يقيناً أن محمداً ﷺ حقاً هو رسول الله، فلقد كانت دعوته، وحياته، وأقواله وأخلاقه وأحكامه، وما تزال شواهد صدق، ومنائر حق، تقول: محمد رسول الله محمد رسول الله، ولعل الله تعالى أن يهديها إلى الإيمان به، وإنها لمهتدية حين تصدق في الطلب، وذلك سعادتها في الدنيا ونجاتها في الآخـــرة.

٦ ــ تأييد الله تعالـــى له ﷺ :

لقد أيَّد الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ من باب التصديق والإقرار له ﷺ فيما ادعى من النبوة، والبلاغ عن الله تعالى، أيده سبحانه بالمعجزات الباهرة التي أعجزت البشر، ـ وما تزال ـ على أن يأتوا بمثلها. ويمكن

---

(١) الخبر في البخاري في قصة الذي خرج يقاتل في سبيل قومه ثم قتل نفسه.

تقسيمها إلى قسمين: ١ ـ معجزة معنوية مادية باقية أبد الدهر، ٢ ـ ومعجزة مادية ذهبت بذهاب وقتها، وبقي التصديق بوقعها.

أ ـ المعجزة المعنوية الباقية: هي القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على قلبه ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، والمجموع بين دفتي المصحف، والمنقول إلينا تواتراً، ليكون به للعالمين نذيراً[١].

ولقد تحدى الله تعالى المشركين والكفار، إنسهم وجنهم، قديمهم وحديثهم، على أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه، فعجزوا، وما يزال التحدي قائماً، ولن يزال العجز فيهم قائماً، قال سبحانه: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ التي وَقُوْدُها النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافرين﴾[٢].

٢ ـ المعجزة المادية: وهي كثيرة تزيد على (٢٤٠) معجزة نذكر نماذج لها.

١ ـ المعجزة العلوية السماوية:

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما[٣].

فلما وقع الانشقاق قال ﷺ: «اللهم أشهد»، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كَبشة قال: فقالوا: انظروا ما يأتينا به السفّار فإن محمداً لا

---

(١) إقرأ إن شئت في كتاب «أركان الإيمان» للمؤلف ما يدل على عظمة القرآن من وجوه منها مضمونة من أسباب الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

(٢) سورة البقرة: ٢٤.

(٣) رواه البخاري.

يستطيع أن يسحر الناس كلهم، قال: فجاء السفّار، فقالوا ذلك[1].

ورواه ابن جرير من حديث المغيرة، وزاد، فأنزل الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[2]، ولم يزايل القمر السماء في انشقاقه، لقد انشق باثنتين، وسارت إحدى القطعتين حتى صارت وراء جبل حراء، والأخرى من الناحية الأخرى، وكلتا القطعتين في السماء.

وإذا ثبت هذا الأمر بالقرآن الكريم والسنّة الشريفة، فلا حاجة إلى أن يقال هل ثبت ذلك تاريخياً، فإن التاريخ يغفل عن الكثير، ويحرف الكثير، ولربما عُرف ذلك ولم يصل إلينا، ثم إن الأمر كان ليلاً، ولوقت غير طويل، فلعل الناس لم ينتبهوا لـــه.

ب ـ المعجـــزة الأرضيـــة:

نبع الماء من بين أصابعـــه ﷺ.

● عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ، خرج ذات يوم لبعض مخارجه، (في رواية أحمد بالزوراء موضع بالمدينة المنورة قرب المسجد الشريف) معه ناس من أصحابه، فانطلقوا يسيرون، فحضرت الصلاة، فلم يجد القوم ما يتوضأون به، فقالوا: يا رسول الله ما نجد ما نتوضأ به، ورآى في وجوه أصحابه كراهية ذلك، فانطلق رجل من القوم، فجاء بقدم من ماء يسير، فأخذه نبي الله فتوضأ به، ثم مدَّ أصابعه الأربع على القدح، ثم قال: «هلموا» فتوضأ القوم حتى بلغوا فيما يريدون من

---

(١) الطيالـــسي.

(٢) القمـــر: ١.

الوضوء. قال الحسن: سُئل أنس: كم بلغوا؟ قال: سبعين أو ثمانين[1].

حنين الجذع شوقاً إلى رسول الله ﷺ.

● عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً؟ فقال: «إن شئتم» فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دُفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ، فضمها إليه تئن أنين الصبي الذي يسكّن، قال: «كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها»[2]، وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول: خشبة تبكي شوقاً إلى رسول الله ﷺ ونحن أحق بذلك.

٧ ــ ثباتــه ﷺ على المبــدأ:

لقد ثبت رسول الله ﷺ على دعوته ودينه، ما تغيَّر منذ بدأ دعوته إلى أن اختاره الله إلى جواره، على رغم ما مَرَّ عليه من إهمال وسخرية، وتهديد واضطهاد، ثم إقامة الدولة وخضوع العرب له، وخطب الروم لودِّه، ﷺ، وذلك شاهد صدق على أنه رسول الله ﷺ.

١ ــ الإهمــال: لقد أهملت قريش أمر رسول الله ﷺ حين كان

---

(١) رواه البخاري، أقول: واعجب معي لما قيل لبعض أولادنا في المدارس: لقد حرم محمد (ﷺ) لحم الخنزير لأن الخنزير كشف قربة الماء التي كان دفنها محمد (ﷺ) ليستخرج منها الماء بأصابعه احتيالا على أصحابه، قاتلهم الله! إن لحم الخنزير حرام في اليهودية والنصرانية، ولأمر ما يكون أول ما يفعله عيسى عليه السلام حين نزوله «أن يكسر الصليب ويقتل الخنزير...».

(٢) رواه البخاري.

يجتمع بالأفراد من الناس يعرض عليهم الإسلام، فيسلمون، ويتركون ما كانوا عليه من الشرك، والضلالة والفساد، ومع ذلك فقد كانوا حيناً يعتدون على بعض أولئك الذين يسلمون.

● قال ابن هشام: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا أرادوا الصلاة خرجوا إلى الشعاب فاستخفوا، فبينما سعد، وابن مسعود، وخَبَّاب، وسعيد بن زيد يصلون في شعب اطلع عليهم نفر من المشركين، فيهم أبو سفيان ابن حرب، والأخنس بن شريق، وغيرهم، فسبوهم، وعابوهم حتى قاتلوهم، فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحي بغير فَشَجَّه، فكان أول دم أريق في الإسلام[1].

٢ ـ السكوت عليها، ما لم تواجه شركهم وضلالهم، مما يدل على عدم صدقهم في عبادة الأصنام.

جاء في السيرة: إنه لما عاب رسول الله ﷺ دينَ قريش وعقولهم التي تعبد ما تصنعه يد، مشى بعض كبار المشركين وهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل، والعاص بن وائل السهمي، إلى أبي طالب ـ وليِّ رسول الله ﷺ وأبيه بعد أبيه ـ فقالوا: له: إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافة ـ مخالفته ـ فقال لهم قولاً جميلاً، واعترض رسول الله ﷺ يوماً وهو يطوف بالبيت، الأسودُ بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف والعاص بن وائل، وكانوا ذوي أسنان في قومهم، فقالوا: يا محمد:

---

(١) «ابن هشام» ١ ـ ٢٦٣.

هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذتَ بحظك منه، فنزلت سورة الكافرون: ﴿قُلْ يَا أَيُّها الكافِرُوْنَ لاَ أَعْبُدُ ما تَعْبُدُون﴾[1].

٣ ــ السخرية بقائد الدعوة محمد ﷺ ودعوته:

أ ــ جاء أُبي بن خلف إلى رسول الله يوماً، ومعه عظم بال يفتته، ثم قال: يا محمد أترى ربك يحيي هذا بعد ما رمَّ وبلي؟ فقال ﷺ: «نعم ويبعثك الله ويدخلك النار» فأنزل الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَه قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيْمٌ قُلْ يُحْيِيْها الذِيْ أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بكل خَلْقٍ عَليم﴾[2].

ب ــ كان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى، وتلا فيه القرآن، وحذر قريشاً ما أصاب الأمم الخالية، خلفه في مجلسه ﷺ إذا قام النضر بن الحارث، فحدثهم عن رستم، وإسفنديار، وملوك فارس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها، كما أكتبها، فأنزل الله فيه: ﴿وَقَالُوْا أَسَاطِيْرُ الأَوَّلِيْنَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُملي عَلَيْه بُكْرةً وَأَصِيْلاً قُلْ أَنْزَلَه الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ في السَّمٰوات والأَرْض إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيْماً﴾، ونزل فيه: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيْم. . . .﴾[3].

٤ ــ عرض الدنيا عليه ﷺ يتلهى بها عن الدعوة: قال كعب

---

(١) «سيرة ابن هشام» ١ ـ ٣٦٢.

(٢) المصدر نفسه بصحته: والآيتان من سورة يس: ٧٨، ٧٩.

(٣) «سيرة ابن هشام»: ١ ـ ٣٥٦ والآيتان من سورة الفرقان: ٥ والجاثية: ٧.

القرظي: حُدثت أن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش، والنبي ﷺ في المسجد، وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد، فأكلمه، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا، وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يكثرون ويزيدون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، فقم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة (السلطة) في العشيرة والمكان والنسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وَعِبْتَ به آلهَتهم ودينَهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل منا بعضها، قال: فقال رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع، فقال: يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا، حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوي فيه، أو كما قال: حتى إذا فرغ منه عتبة، ورسول الله يسمع منه قال: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال نعم، قال: «فاسمع مني»، أفعل، قال: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم حم تَنْزِيْلٌ مِن الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْقِلُوْنَ بَشِيْراً وَنَذِيْراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُوْن﴾[1]، ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرأها عليه، فلما سمعها عتبة منه، أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره، معتمداً عليهما يسمع عنه، ثم انتهى رسول الله

---

(١) فصلت: ١، ٢، ٣، ٤.

ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك»، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضم لبعض: بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم، قالوا له: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي! سمعت قولاً لا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا الكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني، واجعلوها بي، فخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم منه[1].

لما دنا موت أبي طالب مشت قريش من جديد إلى أبي طالب تسأله أن يكفّ رسول الله ﷺ عن سب آلهتهم، فبعث إليه قائلا: هؤلاء سروات قومك، يسألونك أن تدع سب آلهتهم، ويدعوك وإلهك، فقال رسول الله ﷺ: «أي عم، أوَلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها؟ كلمة يقولونها تدين لهم بها العرب، ويملكون رقاب العجم؟» فقال أبو جهل: ما هي وأبيك لنعطينكها وعشراً أمثالها؟ فقال: «تقولون لا إله إلا الله» فنفروا وتفرقوا، وقالوا: سل غيرها، فقال: «لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها بين يديّ ما سألتكم غيرها»، قال: فغضبوا، وقاموا من عنده غِضاباً، وقالوا: لنشتمنك والذي أمرك بهذا. وانطَلَقوا، فنزل: ﴿وَانْطَلَقَ الملأُ مِنْهُم أَنَ امشُوا وَاصْبِرُوْا عَلَى آلِهَتِكُمْ إنَّ هذا لشيْءٌ يُرَاد﴾[2].

---

(١) «سيرة ابن سيد الناس» عن «سيرة ابن إسحاق» ١ ـ ١٥٠.

(٢) ابن هشام: ١ ـ ٤١٧، والآية من سورة ص: ٦.

٥ ـ تطويـق الدعوة وانتقاصهـا:

قال ابن إسحاق : ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سنّ فيهم، وقد حضر الموسم: فقال يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم(بعد أن تآمروا بينهم على من بقي من القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم، ويفتنونهم عن دينهم) وإن وفود العرب ستقدم عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً، ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضاً، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل، وأقم لنا رأياً نقول فيه، قال: بل أنتم فقولوا أسمع، قالوا: فنقول كاهن، قال: والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، قالوا : فنقول مجنون، قال: والله ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه ولاوسوسته، قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول : ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثه ولا عقده، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجَناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء، وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عند ذلك، فجعلوا يجلسون لسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمرّ أحد إلا حذروه إياه، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر ـ بذكِر ـ رسول الله ﷺ فانتشر ذكره في بلاد

العرب كلها[1].

٦ ــ العنف في التنكيل والتعذيب له وأصحابه ﷺ:

كان عدوّ الله أبو جهل يغري المشركين بالمسلمين ليضطهدوهم ويعذبوهم، ويفعل من ذلك ما استطاع، وكان إذا سمع بالرجل قد أسلم وله شرف ومنعة أنّبه وأخزاه، وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنضلّن رأيك، ولنضعنّ شرفك، وإن كان تاجراً قال: والله لنكسدنّ تجارتك، ولنهلكنّ مالك، وإن كان ضعيفاً أغرى به[2]، وتآمر المشركون على ذلك، فقام الولي إلى وليه يضطهده يضربه ويؤذيه، وقام المولى إلى مولاه، وقام الأقوياء ـ ظاهراً ـ إلى الضعفاء، بل وقام الآباء والأمهات على أولادهم يعذبونهم، ويضطهدونهم، فلم يزد ذلك المسلمين إلا يقيناً وثباتاً والحمد لله.

بل لقد تمادى بالمشركين الأمرُ، فأرادوه ﷺ بالأذى.. والقتل، فدفعهم الله تعالى، وحفظ رسول الله ﷺ، إلا ما كان من الأذى الذي أصابه ليرفع الله تعالى به أجره عنده، وليكون قدوة للآخرين.

٧ ــ الثبات على المبدأ والصبر في سبيل الله تعالى:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد الحرام ورفقة من المشركين من قريش، ونبي الله ﷺ يصلي، وقد نحر قبل ذلك جزور، وقد بقي فرثه ـ ما في كرشه ـ وقذره، فقال أبو جهل:

---

(١) «سيرة ابن سيد الناس» ١ ـ ١١٠. أرادوا الإضرار به وبدعوته ﷺ فقاموا بالدعاية الواسعة له، وهكذا إذا أراد الله أمراً سخر لإتمامه حتى عدوه...!

(٢) «ابن هشام» ١ ـ ٣٢٠.

ألا رجل يقوم إلى هذا القذر يلقيه على محمد؟ ونبي الله ﷺ ساجد، إذ انبعث أشقاها، فقام فألقاها عليه، قال عبد الله: فهبنا أن نلقيه عنه، حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها فألقته عنه، فقام، فسمعته يقول، وهو قائم يصلي: «اللهم اشدد وطأتك على مضر سنين كسني يوسف عليك بأبي الحكم بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وعقبة بن أبي معيط، وأمية بن خلف» ورجل آخر، ثم قال رأيتهم من العام المقبل صرعى بالطوى طوى بدر صرعى القليب[1].

قال نبت الأزدي: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية، وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا»، فمنهم من تفل في وجهه، ومنهم من حثا عليه التراب، ومنهم من سبَّه حتى انتصف النهار، فأقبلت جارية بعسّ من ماء، فغسل وجهه ويديه، وقال: «يا بنية لا تخشي على أبيك غيلة ولا ذلة»، فقلت: من هذه؟ قالوا: زينب بنت رسول الله ﷺ وهي جارية وضيئة[2].

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما رأيت قريشاً أرادوا قتل النبي ﷺ إلا يوماً ائتمروا به، وهم جلوس في ظل الكعبة، ورسول الله ﷺ يصلي عند المقام، فقام إليه عقبة بن أبي مُعيط، فجعل رداءه في عنقه، ثم جذبه حتى وجب لركبتيه ساقطاً، وتصايح الناس، فظنوا أنه مقتول، فأقبل أبو بكر رضي الله تعالى عنه يشتدّ حتى أخذ بضبعي رسول الله ﷺ من ورائه وهو يقول: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله»[3].

---

(١) «عيون الأثر» ١ ـ ١٠٣.
(٢) الطبراني.
(٣) ابن أبي شيبة.

٨ ــ القتال لــه وأصحابه ﷺ :

ثم كان آخر ما في قوس الكفر من منزع، كان القتال في بدر، وأُحد، والخندق، وغيرها، حتى نصر الله تعالى رسوله وأصحابه صلى الله عليه وعليهم وسلم، ومكن لدينه في الأرض.

قال موسى بن عقبة رحمه الله تعالى: كان عدد مغازي رسول الله ﷺ التي غزاها بنفسه (٢٧) غزوة، وكانت سراياه التي بعث فيها (٤٧) سرية، وكان ما قاتل فيه من المغازي (٩) غزوات بدر القتال، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف[1].

وانتهت تلك المسالك والحمد لله إلى الانضواء: انضواء الذين كادوا للإسلام وأهله إلى الجهاد في سبيله، انضواء أولئك الذين أرادوه ﷺ بالأذى والقتل إلى الإيمان به ومخاطبته بقولهم: فداك أُمي وأبي..!!

انضوى أولئك الذين آذوا المسلمين الذين سبقوهم إلى الإسلام، إلى الدخول بعدُ في الإسلام، واعتبار أولئك السابقين سابقين مقدمين عليهم عند الله تعالى ورسوله ﷺ.

إلا ما كان من أولئك الذين سبقت لهم الشقاوة، فماتوا بسيف الإسلام على الكفر، أو جاءتهم الآجال في غير الحرب، وهم على الكفر.

حين عاد رسول الله ﷺ من الطائف إلى مكة المكرمة، ولم يدخلها إلا في جوار المطعم، قال يهدد قوماً من المشركين لعدوانهم، وقال للآخرين: وأما أنتم يا معشر قريش، فوالله لا يأتي عليكم غير كثير حتى تدخلوا فيما تنكرون»[2]، وكان ذلك فأسلموا والحمد لله رب العالمين.

---

(١) «سيـرة ابن سيد الناس» ١ ـ ٢٢٣.

(٢) ابن جرير الطبري في «تاريخـه».

وانقضت ثلاثة وعشرون على دعوة رسول الله ﷺ إلى الإسلام فإذا بجزيرة العرب قد حطمت أوثانها، وأزالت معالم الشرك والضلال فيها، ودخل أهلها في الإسلام أفواجاً أفواجاً، جاءوا من كل حدب فيها وصوب إلى المدينة المنورة يبايعون سيدنا محمداً ﷺ، ويشهدون له بالنبوة والرسالة.

اللهم إن هذه السيرة المثالية الفريدة شاهد واي شاهد على أن رسولك محمداً ﷺ هو رسولك حقاً وصدقاً، وإنك أهديته رحمة إلى الخليقة، كما قال فداه أمي وأبي ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة».

وأرسلته رحمة للعالمين كما قلت له: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

* . * . *

مَا يَهدِم الإيمانَ برسُول الله ﷺ

● يهدم الإيمان برسول الله ﷺ كل ما يهدم الإيمان بالله تعالى، مما سبق ذكر بعض صوره عند الكلام على ما يهدم الإيمان بالله تعالى، ثم الارتداد عن الإيمان بأنه ﷺ رسول الله حقاً، والخروج عليه مع العلم والاختيار دون الجهل والإكراه[1]!!!

فمن أنكر بعثة رسول الله ﷺ أصلاً، أو أنكر بعثه إلى الناس جميعاً، وإلى يوم القيامة، أو أنكر نزول القرآن الكريم عليه، أو أنكر سنته أصلاً، فإنه يخرج بذلك عن الإسلام ويعدّ مرتداً حلال الدم.

● من أنكر ما ثبت في حقه ﷺ بالدليل القطعي الذي لا شبهة فيه، مثل إنكار إكرام الله تعالى له بانشقاق القمر، أو الإسراء بالجسد والمعراج أو أنكر ختم النبوات والرسالات به ﷺ، فذلك خارج عن الإسلام، لا يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً إلا أن يتوب.

● من نسب إليه ﷺ الشرك، أو السحر، أو الظلم، والكذب،

---

(١) لا يشترط العلم في المسلم المقيم بدار الإسلام فلا عذر بالجهل في دار الإسلام، فإن معرفة الفرائض والمحرمات، وما به يكون الإيمان أو يكون الكفر فرض عين.

والعصيان، أو كتمان شيء، مما أمر بتبليغه من الإسلام، فقد كذّب به ﷺ وارتد بذلك، معاذ الله.

● من زعم أنه ﷺ كان نوراً، وأنه لم يتصل بزوجاته جنسياً فهو مرتد، لأنه أنكر قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوْحَىٰ إِليَّ . . .﴾[1]، وأنكر ما ثبت قطعاً من أبوته ﷺ لأولاده ـ معاذ الله.

● من اعتقد أن رسول الله ﷺ كان يتلقى القرآن والعلم ممن سمي جبر الرومي لأنه يكذب قول الله تعالى: ﴿. . . إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِين يُلْحِدونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[2].

● من رأى أن القرآن الكريم فيه قصص طلب رسول الله ﷺ من بعضهم أن يكتبها له ففعل، لأنه يكذب قوله تعالى: ﴿وَقَالوا أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً، قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَ في السَّمٰواتِ والأَرْضِ﴾[3]، وبالأحرى من زعم أن القرآن من تأليف رسول الله ﷺ.

● من قال أنه ﷺ كان يُصرع ويغيب عن الوجود، فإذا أفاق تلى على الناس كلاماً يزعم أنه من عند الله كما قال الخبيث كارلايل في كتابه «الأبطـال».

من سب رسول الله ﷺ أو انتقصه، ومن المعلوم أن الذي إذا سب رسول الله ﷺ فإنه بذلك ينقض عهد ذمته، ويقتل جزاء وفاقاً.

---

(١) سورة الكهف: ١١٠.
(٢) سورة النّحل: ١٠٣.
(٣) سورة الفرقان: ٥و٦.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه واخوانه إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

أسباب الردة

قال القاضي عياض: بيان ما هو من المقالات كفرٌ.

إعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللَّبس فيه موردهُ الشرع، ولا مجال للعقل فيه.

والفصل البيِّن في هذا أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله، أو مع الله فهي كفر، كمقالة الدهرية[1].

وسائر فرق أصحاب الاثنين من الديصانية[2]، أو المانوية، وأشباههم من الصابئين والنصارى، والمجوس، والذي أشركوا بعبادة الأوثان، أو الملائكة أو الشياطين، أو الشمس، أو النجوم، أو النار، أو أحد غير الله من مشركي العرب وأهل الهند والصين، والسودان[3]، وغيرهم ممن لا يرجع إلى كتاب.

---

(١) الدهرية: طائفة من الملحدين المعطلين ينسبون الأمور للدهر كأصحاب الطبيعة.

(٢) الديصانية: نسبة إلى رجل من المجوس نسب له هذا المذهب من القول بالنور والظلمة.

(٣) السودان: السود من عباد الأوثان وعباد بعض مظاهر الطبيعة كالماء، والريح، وبعض الحيوان.

وكذلك القرامطة، وأصحاب الحلول والتناسخ[1] من الباطنية، والطيارة من الروافض والبيانية والفرابية[2].

وكذلك من اعترف بإلاهية الله تعالى ووحدانيته، ولكنه اعتقد أنه غير حَيّ، أو غير قديم، وأنه محدث، وأنه مصور، أو ادعى له ولداً، أو صاحبة أو صاحبة، أو ولداً، أو أنه متولّد من شيء، أو كائن عنه، أو أن معه في الأزل شيئاً قديماً[3] غيره، أو أنه ثمة صانعاً للعالم سواه، أو مديراً غيره.

فذلك كله كفر بإجماع المسلمين.

كقول الإلهيين من الفلاسفة، والمنجمين، والطبائعين، وكذلك من ادّعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته، أو حلوله في أحد الأشخاص، كقول بعض المتصوفة والباطنية، والنصارى، والقرامطة.

وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه، أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية، أو قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص وتعذيبها أو تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها.

وكذلك من اعترف بالآلهية والوحدانية، ولكنه جحد النبوة من أصلها عموماً، أو نبوة نبينا محمد ﷺ خصوصاً، أو أحد من الأنبياء الذين نصّ الله

---

(١) التناسخ وهم القائلون بأن الأرواح إذا فارقت الأبدان تحلُّ في غيرها، فهي لا تعتقد بالبعث وحشر الأجساد، والجنة والنار.

(٢) الغرابية: هم القائلون بأن الرسالة جاءت من عند الله تعالى لعلي فأعطاها جبريل عليه السلام محمداً غلطاً منه، لأنه يشبهه كما يشبه الغراب الغراب.

(٣) إشارة إلى قول الفلاسفة بقدم العالم.

عليهم بعد علمه بذلك[1] فهو كافر بلا ريب، كالبراهمة[2].

ومعظم اليهود، والأروسية من النصارى، والغرابية من الروافض الزاعمين أن علياً كان المبعوث إليه جبريلُ، وكالمعطلة[3] والقرامطة والإسماعيلية والعنبرية من الرافضة، وإن كان بعض هؤلاء قد أشركوا في كفرٍ آخر مع من قبلهم. وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة، ونبوة نبينا ﷺ، ولكنه جوّز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به، أو أدعى في ذلك المصلحة بزعمه، أو لم يدّعها فهو كافر بإجماع كالمتفلسفين، وبعض الباطنية والروافض، وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة[4]، فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان، وعما يكون من أمور الآخرة، والحشر، والقيامة، والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها، ومفهوم خطابها، وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم. فَمضَّمنُ مقالاتهم إبطال الشرائع، وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل، والارتياب فيما أتوا به.

وكذلك من أضاف إلى نبينا ﷺ تعمّد الكذب فما بلّغه وأخبر به أو شك في صدقه، أو شبّه، أو قال إنه لم يبلِّغ، أو استخف به أو بأحد من

---

(١) بعد علمه بذلك: أي بعد علمه أن ذلك النبي قد نص الله تعالى على نبوته في القرآن الكريم.

(٢) البراهمة: طائفة من الهنود أنكروا النبوات، وعبدوا النار.

(٣) المعطلة، الذين جحدوا الألوهية، والرسالة، والأحكام، وما أكثرهم في زماننا وإن تغيرت الأسماء.

(٤) الذين أباحوا المحرمات وادعوا أن من كمل نفسه لا تضره المعصية.

الأنبياء، أو أزرى عليهم، أو آذاهم، أو قتل نبياً، أو حاربه. فهو كافر بإجماع.

وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن كل جنس من الحيوان نذيراً ونبياً، من القردة والخنازير، والدواب، والدود وغير ذلك ويحتج بقوله تعالى: ﴿وإن من أمة إلّا خلا فيها نذير﴾[1]، إذ ذلك يؤدي إلى أن يوصف أنبياء هذه الأجناس بصفاتهم المذمومة، وفيه من الإزراء على هذا المنصب المنيف ما فيه، مع إجماع المسلمين على خلافة، وتكذيب قائله.

وكذلك نكذب من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا ﷺ، ولكن قال: كان أسود، أو مات قبل أن يلتحي، أو ليس الذي كان بمكة والحجاز، أو ليس بقرشي، لأن وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به، وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا ﷺ أو بعده كالعيسوية[2]. من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب، وكالخُرَّمية القائلين بتواتر الرسل وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي ﷺ، وبعده.

فكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة. وكاليزيعية[3] والبيانية منهم، القائلين نبوة يزيع وبيان، وأشباه هؤلاء، أو

---

(١) سورة فاطر آية ٢٥.

(٢) العيسوية نسبوا لعيسى بن إسحاق بن يعقوب اليهودي، وكان في زمن بني مروان وادعى النبوة في زمن مروان وتبعه كثير من اليهود، وكان من مذهبه تجويز حدوث النبوة بعد نبينا ﷺ.

(٣) اليزيعية والبيانية: طائفتان من غلاة الرافضة تزعمان أن النبوة بل الإلهية تحل في بعض أئمتهم.

من ادّعى النبوة لنفسه، أو جوّز اكتسابها، والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة.

وكذلك من ادعى منهم أنه يُوحى إليه وإن لم يدّع النبوة، أو أنه يصعد إلى السماء، ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها، ويعانق الحور العين.

فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي ﷺ، لأنه أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين، لا نبي بعده، وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين، وأنه أرسل كافة للناس، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأن مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص.

فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعاً وإجماعاً وسمعاً.

وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب، أو خص حديثاً مجمعاً على نقله مقطوعاً به، مجمعاً على حمله على ظاهره، كتكفير الخوارج بإبطال الرجم[1]. ولذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملّة المسلمين من الملل أو وقف فيهم، أو شك، أو صحح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك.

وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة، وتكفير جميع الصحابة، كقول الكُحيلية[2] من الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد النبي ﷺ إذ لم تقدم علياً، وكفرت علياً إذا لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم.

---

(١) للزاني والزانية المحصنين، فإنه مجمع عليه صار معلوماً من الدين بالضرورة.

(٢) الكحيلية: فرقة من غلاة الرافضة قالوا بالتناسخ والحلول، وأن النبوة نور ينتقل من رجل إلى آخر، وأن الصحابة كفروا لما بايعوا أبا بكر، وعليٌّ كفر لما ترك حقه.

فهؤلاء قد كفروا من وجوه: لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها، إذ قد انقطع نقلها، ونقل القرآن، إذ ناقلوه كفرة في زعمهم.

وإلى هذا ـ والله أعلم ـ أشار مالك في أحد قوليه بقتل من كَفَّر الصحابة، ثم كفروا من وجه آخر بسبِّهم النبي ﷺ على مقتضى قولهم وزعمهم أنه عهد إلى علي رضي الله عنه وهو يعلم أنه يكفر بعده على قولهم ـ لعنة الله عليهم ـ وصلى الله على رسوله وآله.

وكذلك نُكَفِّر بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلّا من كافر، وإن كان صاحبه مصرحاً بالإسلام مع فعله ذلك الفعل. كالسجود للصنم، والشمس، والقمر والصليب، والنار، والسعي إلى الكنائس، والبيع في أهلها، والتزين بزيهم من شدّ الزنانير، وفحص الرؤوس.[1].

فقد أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد إلّا من كافر، وأن هذه الأفعال علامة على الكفر، وإن حرج فاعلها بالإسلام.

وكذلك أجمع المسلمون على تكفير من استحلّ القتل أو شرب الخمر، أو الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه، كأصحاب الإباحة من القرامطة، وبعض غلاة المتصوفة.

وكذلك نقطع بتكفير كل من كذّب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع، وما عُرف يقيناً بالنقل المتواتر من فعل الرسول ﷺ ووقع الإجماع المتصلُ عليه، كمن أنكر وجوب الصلوات الخمس، وعدد ركعاتها وسجداتها. ويقول: إنما أوجب الله علينا في كتابه الصلات على الجملة وكونها خمساً

---

(١) فحص الرؤوس: أي حلق أوساطها وتكرها كمفاحص القطا، وكان ذلك شعار الكفار.

وعلى هذه الصفات، والشروط لا أعلمه، إذ لم يرد فيه في القرآن نص جليّ والخبرُ به عن رسول الله ﷺ خبر واحد.

وكذلك أجمع على تكفير من قال من الخوارج إن الصلاة طرفا النهار.

وعلى تكفير الباطنية في قولهم: إن الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم، والخبائث والمحارم أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم.

وقول بعض المتصوفة: إن العبادة وطول المجاهدة إذا صفتْ نفوسهم أفضتْ بهم إلى إسقاطها، وإباحة كل شيء لهم، ورفع عُهَدِ الشرائع عنهم.

وكذلك من أنكر القرآن أو حرفاً منه، أو غيّر شيئاً منه، أو زاد فيه، كفعل الباطنية والإسماعيلية، أو زعم أنه ليس بحجة للنبي ﷺ، أو ليس فيه حجة، ولا معجزة.

وكذلك من أنكر شيئاً مما نص فيه القرآن بعد علمه أنه من القرآن الذي في أيدي الناس، ومصاحف المسلمين، ولم يكن جاهلاً به، ولا قريب عهد بالإسلام، واحتج لإنكاره بأنه لم يصح النقل عنده، ولا بلغه العلم به، أو لتجويز الوهم على ناقله فنكفره بالطريقين المتقدمين: لأنه مكذب بالقرآن مكذب للنبي ﷺ لكنه مستتر بدعواه، وكذلك من أنكر الجنة أو النار، أو البعث أو الحساب، أو القيامة، فهو كافر بإجماع للنص عليه، وإجماع الأمة على صحة نقله متواتراً.

وكذلك من اعترف بذلك لكنه قال: إن المراد بالجنة والنار والحشر

---

(١) مخالفة الاجماع والنقل الصحيح عن النبي ﷺ.

والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره، وأنها لذات روحانية ومعان باطنة، كقول النصارى، والفلاسفة والباطنية، وبعض المتصوفة وزعم أن معنى القيامة الموت، أو فناء محض، وانتقاض هيئة الأفلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة.

عن «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ».

بتحقيق الأساتذة أسامة بن عبد الكريم الرفاعي ومحمد أمين قرة علي ومن معهما ٢ ـ ٦٠٤ ـ وما بعد.